حقيقة الخطيئة الموروثة وصلب المسيح



إعداد
أبو صهيب الأنصاري

الإهـداء

إلى كل نفسٍ تواقةٍ للسلام ..

إلى كل عقلٍ حرٍ يرفض المُسلَّمات دون برهان ..

إلى الباحثين عن "الإله الحق" وسط ركام المعتقدات ..

إلى من يملك الشجاعة ليقف ويسأل : أين الحقيقة ؟

أُهدي إليك هذه الكلمات، لا لأفرض عليك رأياً، بل لنقرأ سوياً، ونفكر سوياً، ونبحث في الكتب التي بين أيدينا عن طريق النجاة.

أبو صهيب الأنصاري

١٤ رجب ١٤٤٧ هـ

دعوة للتفتيش عن النبع الصافي

في رحلة الحياة القصيرة، لا شيء أغلى عند الإنسان من مصيره الأبدي وعلاقته بخالقه. وكثيرًا ما يرث الإنسان معتقداته كما يرث ملامح وجهه، دون أن يتوقف لحظة ليتساءل :

هل ما أؤمن به هو الحق المطلق الذي أراده الله لي ؟

أم هو نتاج تراكمات بشرية وتفسيرات تاريخية ؟

إن الله، العدل المُطلق، لم يخلق لنا عقولاً لنعطلها، ولم ينزل كتباً لنقرأها بلا تدبر. ومن هذا المُنطلق، يأتي هذا الكُتيِّب ليفتح نافذة ضوء على مسألتين تشكلان حجر الزاوية في العقيدة المسيحية : توارث الخطيئة والصلب والفداء.

نحن هنا لا نتحامل، بل نمتثل لدعوة الكتب المقدسة نفسها للبحث والتحري.

ففي (إنجيل يوحنا 5 : 39) تأتي الدعوة صريحة : "فَتِّشُوا الْكُتُبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً".

دعنا نُفتش الكتب معاً .. هل يعقل أن يحمل الله (العدل) ذنب آدم لذرية لم تخطئ بعد ؟

وهل يحتاج الغفور الرحيم إلى دماء وصلب ليغفر ؟ سنقرأ نصوص العهد القديم والجديد، ونحتكم إلى المنطق السليم.

إننا ندعوك، بقلب محب ومشفق، إلى أرضية مشتركة، نلتقي فيها على تعظيم الله وتنزيهه عن كل نقص، مصداقاً للنداء الخالد في القرآن الكريم : بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64].

هيا بنا نبدأ الرحلة .. لعلنا نصل إلى كلمة سواء.

الفصل الأول : حقيقة الخطيئة الموروثة

إن العقيدة المسيحية الحالية تقوم على عمودين رئيسيين، أحدهما "الداء" والآخر "الدواء". الداء هو ما يُسمى بـ "الخطيئة الموروثة"، والدواء هو "الصلب والفداء".

تقول هذه العقيدة : أن الخطيئة التي ارتكبها آدم عليه السلام عندما أكل من الشجرة المُحرمة لم يغفرها الله له، بل أصبحت خطيئة موروثة تنتقل إلى كل البشر عبر الأجيال، وأصبحوا "طبيعة فاسدة" محكومٌ عليها بالموت والهلاك الأبدي، فبحسب هذا المعتقد، كان من الضروري أن يُصلب المسيح ويُقتل ليكون "مُخلِّصًا" وفداءً للبشرية، ليطهرهم من تلك الخطيئة الموروثة التي وُلدوا بها. ومن لا يؤمن به كمُخلِّص، تبقى الخطيئة ملتصقة به، وتكون عاقبته النار، وهي صورة تظهر الله وكأنه عاجز عن المغفرة المباشرة !

فإذا أثبتنا بالدليل والعقل أن "الداء" وهمٌ لا وجود له، سقطت الحاجة إلى "الدواء" تلقائياً. فإذا لم تكن هناك خطيئة متوارثة، فلا حاجة لصلب ولا فداء.

ولكن عند التدقيق في هذه العقيدة من منظور العقل والنقل، تظهر عدة إشكاليات جوهرية.

أولًا : الأدلة العقلية على بطلان الخطيئة الموروثة ، يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

❶ **الظلم :** معاقبة البريء إن تحميل إنسان وزر خطيئة ارتكبها شخص آخر (آدم) قبل آلاف السنين هو قمة الظلم. فالبشرية لم تشارك آدم في فعله ولم تأمره به، فبأي حق يُعاقَبون على ذنب لم يقترفوه ؟ هذا المبدأ يخالف أبسط قواعد العدالة في القوانين الوضعية البشرية والتي تقول : "لا يؤخذ أحد بجريرة غيره"، فإيقاع العقوبة على الأبرار أو الأطفال بسبب ذنوب لم يفعلوها يُعتبر في قوانين البشر "جرائم"، **فكيف يُنسب ذلك إلى الشريعة الإلهية ؟**

إذا قام أبٌ بارتكاب جريمة قتل أو سرقة، هل تقبل أي محكمة عادلة في العالم أن يُسجن ابنه أو حفيده بدلاً منه ؟ بالطبع لا.

❷ **التعارض مع صفات الله :** تتعارض هذه العقيدة بشكل مباشر مع صفات الله التي يؤمن بها الجميع، مثل العدل والرحمة. فإذا كان البشر أنفسهم يعتبرون معاقبة شخص بريء ظلمًا فاحشًا، فكيف يمكن نسبة هذا الفعل إلى الله، الذي هو "أعدل العادلين" و"أرحم الراحمين" ؟ إن هذا الاعتقاد يصف الله بصفات النقص التي يتنزه عنها البشر أنفسهم. إن المنطق السليم يقول إن المسؤولية فردية، والعقاب يقع على الفاعل فقط. وتوريث الخطيئة فكرة تتنافى مع كمال الله وعدله.

❸ **عدم التكافؤ بين الذنب والعقوبة :** من مبادئ العدل أن تكون العقوبة متكافئة مع الذنب. في هذه العقيدة، نجد أن كفارة خطيئة (أكل من شجرة) هي صلب المسيح وتعذيبه وإهانته. هذا التفاوت الهائل بين الفعل والعقوبة يجعله غير مقبول منطقيًا. لو كان آدم هو المخطئ، لكان العدل يقتضي أن يُعاقب هو، لا أن يُعذّب شخص آخر بعد آلاف السنين بطريقة بشعة.

❹ **طبيعة الذنب كفعل مكتسب :** فالذنب هو شيء يكتسبه الإنسان بفعله وإرادته، وليس صفة بيولوجية تنتقل عبر الوراثة ؛ فالاكتساب يكون بالعمل، أما الوراثة فلا دخل للإنسان فيها.

❺ **عدم اتساق منطق الوراثة :** فلو كانت الذنوب تُورّث فعلاً، فلماذا لم ترث البشرية إلا هذا الذنب بالذات ؟. فالبشر عبر العصور ارتكبوا ذنوباً لا حصر لها، فلو كان قانون الوراثة سارياً، لكان من المفترض أن يرث الأبناء كل خطايا آبائهم وأجدادهم، وهذا لا يحدث.

❻ **إمكانية المغفرة المباشرة :** هناك سؤال منطقي يجب طرحه : إذا كان المسيح هو الرب (حسب الاعتقاد المسيحي)، فلماذا لم يغفر تلك الخطيئة بكلمة منه بدلاً من هذه المعاناة ؟ فالمغفرة لا تتطلب إهانة الذات أو القتل طالما أن الله غفور رحيم.

❼ **حجة الحل الأبسط (الدعاء) :** إذا كانت هذه العقيدة صحيحة، فلماذا كان الصلب ضروريًا ؟ فبما أن النصارى يعتقدون أن المسيح هو ابن الله، أو حتى الله نفسه، فإن مجرد دعاء منه إلى الله ليغفر للبشرية خطيئتها الموروثة كان سيكون كافيًا ومنطقيًا ورحيمًا، وينفي الحاجة إلى تضحية عنيفة.

ثانيًا : الأدلة النقلية على بطلان الخطيئة الموروثة :

عند الرجوع إلى المصادر الدينية، نجد أنها تؤكد على مبدأ المسؤولية الفردية، حيث يتحمّل كل إنسان نتيجة أفعاله فقط، مما ينفي فكرة وراثة الذنب.

❶ **سكوت الأناجيل :** تخلو الأناجيل الأربعة والرسائل المُلحقة بها من أي ذكر صريح أو تأسيس لعقيدة توارث الخطيئة، مما يثير الشك في أصالتها.

❷ **النصوص المناقضة الصريحة :** توجد نصوص واضحة في العهد القديم، الذي يعتمده النصارى، تناقض هذه الفكرة بشكل مباشر، ومنها :

أ- سفر حزقيال (18 : 20) : "النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. الابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ". النص واضح كالشمس، فهو وحده كافٍ لنسف عقيدة الخطيئة الأصلية. الله يقول بوضوح : الابن لا يحمل إثم الأب. فكيف تقول الكنيسة إننا جميعاً نحمل إثم أبينا آدم ؟

ب- سفر التثنية (24 : 16) : "لاَ يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الأَوْلاَدِ، وَلاَ يُقْتَلُ الأَوْلاَدُ عَنِ الآبَاءِ. كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيَّتِهِ يُقْتَلُ". فلو كانت الخطيئة الموروثة حقيقة تأسيسية، لكان من المتوقع أن تكون محورًا رئيسيًا في تعاليم جميع الأنبياء الذين سبقوا المسيح، مثل إبراهيم وموسى. فهؤلاء الأنبياء وغيرهم لم يعرفوا شيئاً عن "خطيئة آدم المتوارثة"، بل علّموا الناس التوبة الشخصية والمسؤولية الفردية، وغيابها عن رسالاتهم يثير تساؤلاً لاهوتيًا كبيرًا حول أصالتها.

ج- سفر حزقيال (21 : 18) : أشار النص إلى كفاية التوبة الشخصية للخلاص، وفتح باب النجاة للشرير إذا "رَجَعَ عَنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُ الَّتِي فَعَلَهَا وَحَفِظَ كُلَّ فَرَائِضِي وَفَعَلَ حَقًّا وَعَدْلًا"، حيث يؤكد النص أنه في هذه الحالة "فَحَيَاةً يَحْيَا. لاَ يَمُوتُ". وفي هذا **دليلاً** على أن الإنسان لا يحتاج إلى وسيط أو فداء بدم شخص آخر، بل يحتاج فقط إلى الرجوع الصادق إلى الله.

د- براءة الأطفال : هل يولد الطفل مدنساً ؟

من أخطر نتائج الإيمان بالخطيئة الأصلية هو الاعتقاد بأن الأطفال يولدون "أعداء لله" أو حاملين للنجاسة الروحية حتى يتم تعميدهم. ولهذا تُسارع الكنائس لتعميد الرُضّع، خوفاً من موتهم وهم يحملون خطيئة آدم فيذهبون للجحيم (أو الليمبوس عند البعض).

نناقش هذا الأمر من جهتين :

أ- عقلياً : الطفل يولد صفحة بيضاء، لا يدرك ولا يعقل، فكيف يُحاسب ؟ هذا يتنافى مع الفطرة السليمة.

ب- من الإنجيل : المسيح نفسه نفى هذا الاعتقاد حينما قدّم الأطفال كنموذج للطهارة والبراءة التي تؤهل لدخول الملكوت. جاء في إنجيل متى (19: 14) : "دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ، لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ". كيف يكون لهم ملكوت السماوات وهم (حسب العقيدة الكَنَسِيّة) يحملون الخطيئة الأصلية ومحكومٌ عليهم بالموت الروحي ؟ قول المسيح هنا دليل على أنهم يولدون أبرياء (على الفطرة)، ولا يحملون وزر آدم، ولو كانوا ورثوا الخطيئة لما كان لهم ملكوت السماوات تلقائياً.

❸ **صمت الأنبياء :** الصمت المُطبق لجميع الأنبياء من آدم إلى المسيح عن هذه العقيدة المحورية. وهو غياب نراه دليلاً ساحقاً على كونها عقيدة مُحدثة أُدخلت لاحقاً على الدين.

❹ **مصير الأجيال السابقة :** تطرح العقيدة سؤالاً منطقياً بلا إجابة : ما هو مصير الأمم التي عاشت وماتت قبل مجيء المسيح ؟ هل يُحكم عليهم جميعاً بالهلاك لأنهم ورثوا خطيئة لم يأتِ من يكفّر عنها بعد ؟

★ الدليل القرآني والتفسير التاريخي :

يؤكد القرآن الكريم بشكل قاطع على مبدأ العدل الإلهي والمسؤولية الشخصية في آيات كثيرة، ففي سورة الأنعام، يقول الله ﷻ : ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، هذه النصوص تؤكد على قصة مختلفة تمامًا لآدم وخطيئته، وهي قصة تقوم على التوبة والمغفرة المباشرة.

★ القصة الحقيقية لآدم : خطيئة، توبة، ومغفرة.

يقدم القرآن الكريم رواية واضحة ومنطقية لقصة آدم، تتلخص في النقاط التالية :

❶ **خطيئة شخصية :** كانت الخطيئة فعلًا شخصيًا قام به آدم وحواء عندما أغواهما الشيطان فأكلا من الشجرة.

❷ **ندم فوري وتوبة :** بعد أن أدركا خطأهما، شعرا بالندم الشديد وتوجها إلى الله مباشرة طالبين المغفرة : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

❸ **مغفرة إلٰهية :** استجاب الله لدعائهما، وقبل توبتهما، وغفر لهما ذنبهما.

قال تعالى : ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

النتيجة المنطقية لهذه القصة هي : بما أن الله قد غفر لآدم، فإن الذنب قد انتهى ومُحي أثره. لم يعد هناك ذنب باقٍ ليتم توريثه للأجيال التالية، فالله "توَّاب" و"رحيم"، لا يحتاج لوسيط ولا لدم ليغفر ذنب عبدٍ استغفره. أيهما أقرب للعقل ولجلال الله : الإله الذي يغفر بمجرد التوبة، أم الإله الذي يُورّث اللعنة للأجيال ؟ وإذا كانت الخطيئة الأصلية قد غُفرت وانتهت، فهذا ينفي الحاجة لوجود مخلّص أو فداء عن طريق الصلب.

★ يوجد ثلاثة شروط أساسية يجب أن تتحقق لقبول توبة الإنسان في الإسلام، وهي :

❶ الندم على ارتكاب الذنب.

❷ العزم الصادق على عدم العودة إلى الذنب مرة أخرى.

❸ الإقلاع عن الذنب (أي التوقف عن فعله).

فعندما تحقق هذه الشروط، فإن الله سبحانه وتعالى يقبل توبة العبد ويفرح بها، بل ويُبدّل سيئاته حسنات مهما بلغت تلك الذنوب. ويُشير القرآن الكريم إلى أن هذا المنطق يقوم على علاقة مباشرة بين العبد وخالقه دون الحاجة إلى وُسطاء أو فداء.

تشبيه لتقريب الفكرة : يُمكن تشبيه التوبة بشروطها الثلاثة كمن ضلّ طريقه في الصحراء ؛ فلكي ينجو، لا بد أولاً أن يتوقف عن السير في الطريق الخطأ (الإقلاع)، ويشعر بالأسف لأنه أضاع وقته وجهده (الندم)، ثم يُصمّم على سلوك الطريق الصحيح وعدم الانحراف عنه مجدداً (العزم).

★ **من الناحية التاريخية :** يرجع أصل عقيدة الخطيئة الموروثة إلى "بولس" ، فقبل ظهوره كانت النصوص المقدسة (في العهد القديم) وتعاليم المسيح تؤكد على المسؤولية الفردية، أي أن كل إنسان يُحاسب على عمله فقط، ولا يحمل وزر غيره (كما ذكرنا سابقًا).

❶ **من هو بولس ؟** هو يهودي متعصِّب من طائفة الفريسيين، اسمه الأصلي "**شاول الطرطوسي**". لم يلتقِ بالمسيح أبداً أثناء حياته على الأرض، وكان أشد أعداء أتباع المسيح الأوائل، يطاردهم ويُعذبهم ويسجنهم. يعترف هو بذلك قائلاً : "أني اضطهدت كنيسة الله بإفراط وأتلفتها" (غلاطية 1: 13).

لم يدخل بولس للمسيحية عن طريق الاقتناع بتعاليم التلاميذ، بل ادّعى فجأة، بعد رفع المسيح، أنه رأى "نوراً" وسمع صوت المسيح وهو في طريقه لدمشق (قصة الطريق إلى دمشق). وبهذه "الرؤية المنامية"، أعطى لنفسه سُلطة توازي أو تفوق سلطة التلاميذ الذين عاشوا مع المسيح، وبدأ يؤسس "**مسيحية جديدة**" خاصة به.

❷ **النصوص والرسائل التي أدخلها بولس والعقائد الناتجة عنها :** بولس هو كاتب 14 رسالة من أصل 27 سفراً في العهد الجديد (أكثر من نصف الكتاب)، ومن خلالها أسّس العقائد المُستحدثة التالية والتي لم يقُلها المسيح في الأناجيل وهي :

أ- عقيدة الخطيئة الأصلية : البشر يرثون الخطيئة بيولوجياً وروحياً من آدم. (رومية 5: 12-19).

ب- عقيدة الفداء والصلب : تحويل المسيح من نبي مُكرّم إلى "لعنة" (حاشاه) ليحمل خطايا البشر.

(غلاطية 3: 13) : "المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا".

ج- عقيدة الخلاص بالإيمان لا بالعمل : إسقاط الشريعة والوصايا العملية والاكتفاء بالإيمان القلبي.

(أفسس 2: 8-9) : "لأنكم بالنعمة مخلصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد".

د- ألوهية المسيح الكونية : تطوير فكرة أن المسيح هو "صورة الله" وخالق الكل، تمهيداً لعقيدة التجسُّد. (كولوسي 1: 15-20).

هـ- عقيدة حتمية الدم : الله لا يغفر بمجرد التوبة (كما في الإسلام واليهودية) بل يجب إراقة دماء بريئة.

(عبرانيين 9 : 22) : " وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة".

❸ **الفارق الجوهري بين "مسيحية بولس" وتعاليم المسيح :** النقطة الفاصلة هي أن المسيح جاء "مُكمِّلاً" للشريعة (التوحيد والعمل)، بينما جاء بولس "هادماً" للشريعة (الخطيئة والفداء).

وسنقدم مقارنة موثقة بالنصوص توضح التناقض الصارخ :

أ- نقض الناموس (الشريعة) وإسقاطه : هذه هي الحجة الأقوى. فالمسيح كان يهودياً متمسكاً بالشريعة، بينما بولس هو من ألغاها.

✫ موقف المسيح (التثبيت الأبدي) : أعلن المسيح بوضوح أن مهمته ليست إلغاء الشريعة : "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ." (متى 5: 17-18). **هنا يربط المسيح بقاء الشريعة ببقاء السماوات والأرض.**

✫ موقف بولس (الإلغاء واللعنة) : ألغى بولس الشريعة واعتبرها "لعنة" وقديمة، وأن المسيح جاء ليحررنا منه : "اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ." (غلاطية 3: 13).

"لأَنَّ غَايَةَ النَّامُوسِ هِيَ : الْمَسِيحُ لِلْبِرِّ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ." (رومية 10: 4).

"ولكن الآن قد تحررنا من الناموس ... حتى نعبد بالروح لا بحرف الناموس العتيق" (رومية 7: 6). "إِذًا لَسْتَ بَعْدُ عَبْدًا بَلِ ابْنًا." (غلاطية 4: 7) - **إشارة للتحرر من عبودية الشريعة.**

✫ الاستنتاج : إذا كان النبي الصادق هو من يثبت شريعة الله، فإن من يلغيها ويصفها باللعنة يعتبر -وفق هذا المنظور- **نبياً كاذباً** ومضاداً لتعاليم المعلم الأول.

ب- شرط الخلاص : الإيمان أم العمل ؟ : غيّر بولس شرط دخول الجنة من "العمل الصالح وحفظ الوصايا" (تعاليم المسيح) إلى "الإيمان المجرد" (تعاليم بولس).

✫ تعاليم المسيح (الإيمان + العمل الصالح) : عندما سأله شاب : ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟

أجابه المسيح : "إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا." (متى 19: 17).

✫ عقيدة بولس (الإيمان فقط وموت المسيح) : جعل الخلاص حصرياً بالإيمان بصلب المسيح، دون حاجة للعمل. "إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح" (غلاطية 2: 16). وبذلك نجد أن بولس قرر عقيدة جديدة وهي "التبرير بالإيمان فقط" دون الحاجة لأعمال الشريعة : "إِذًا نَحْسِبُ أَنَّ الإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ." (رومية 3: 28).

✫ الاستنتاج : نرى أن بولس ابتدع "طريقاً سهلاً" (الإيمان فقط) لجذب الوثنيين، متجاهلاً شرط المسيح الصارم بضرورة العمل والالتزام بالوصايا.

ج- العقيدة : التوبة أم الفدية ؟

✫ تعاليم المسيح : الله يغفر لمن يتوب ويرحم (مثل الابن الضال)، ولم يذكر المسيح أنه جاء ليموت كفارة عن خطيئة آدم. "اذهبوا وتعلموا ما هو : إني أريد رحمة لا ذبيحة" (متى 9: 13).

✫ عقيدة بولس : أسّس فكرة أن الله لا يغفر إلا بالدم، ورسخ عقيدة "الخطيئة الأصلية".

"متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح" (رومية 3: 24).

د- أكل ذبح الأوثان واللحم المُحرّم :

✫ موقف المسيح : حذّر بشدة في "سفر الرؤيا" (على لسان يوحنا) من الذين يُعلّمون الناس "أَنْ يَأْكُلُوا مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ" (رؤيا 2: 14 و 20).

✫موقف بولس : أباح أكل ما ذبح للأوثان مبرراً ذلك بأن "الوثن لا شيء" : "كُلُّ مَا يُبَاعُ فِي الْمَلْحَمَةِ كُلُوهُ غَيْرَ فَاحِصِينَ عَنْ شَيْءٍ." (1 كورنثوس 10: 25).

❹ **علامات نهاية الزمان :** عندما كان يسوع جالساً على "جبل الزيتون"، فسأله تلاميذه سؤالاً محدداً : "ما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر ؟" (أي متى تكون القيامة أو نهاية العالم؟). فبدأ يسوع يسرد لهم علامات ستحدث قبل النهاية، مثل : الحروب، الأوبئة، المجاعات، ومن ضمن هذه العلامات ظهور أشخاص يدّعون النبوة والمسيحانية.

"وَيَقُومُ أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ كَثِيرُونَ وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ." (إنجيل متى 24: 11).

وكذلك النص في (إنجيل متى 7: 15) : "اِحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبِيَاءِ الْكَذَبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَاب الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِل ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ." فهنا يُحذِّر المسيح أتباعه بوجه عام من الأشخاص الذين يظهرون بمظهر التقوى والوداعة (ثياب الحملان) لكن نيتهم تدمير العقيدة أو استغلال الناس (ذئاب خاطفة).

ويقصد المسيح التحذير من ثلاثة أمور رئيسية :

أ- الخداع بالمظهر والآيات : هؤلاء الأنبياء الكذبة لن يظهروا كأشرار في البداية، بل قد يصنعون "آيات وعجائب عظيمة" (كما ورد في متى 24: 24) لدرجة أنهم قد يخدعون "المختارين" (المؤمنين المخلصين) أنفسهم.

الفكرة هنا : المعجزة وحدها ليست دليلاً على صدق النبي في العقيدة المسيحية، لأن الأنبياء الكذبة قادرون على فعل العجائب بقوة الشيطان (بحسب التفسير المسيحي).

ب- ادعاء تمثيل الله : سيأتي هؤلاء الأشخاص ويدّعون أنهم يحملون رسالة جديدة من الله، أو أنهم هم "المسيح" نفسه، والهدف هو إبعاد الناس عن التعاليم التي وضعها المسيح.

ج- المقياس لكشفهم (الثمار) : أعطى المسيح قاعدة لتمييزهم وهي: "مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ". أي لا تنظروا إلى أقوالهم البراقة أو معجزاتهم، بل انظروا إلى أفعالهم وسلوكهم ونتيجة تعاليمهم ؛ فإذا كانت تؤدي لفساد أخلاقي أو عقائدي، فهذا دليل على كذبهم.

❺ **كيف وضع بولس العقائد الحالية ؟ (آلية التحريف)**

قام بولس بصياغة نظرية لاهوتية تقول : بما أن آدم أخطأ، فقد دخل الموت والفساد إلى كل البشرية، وبالتالي لا يمكن للإنسان أن يخلص بعمله الصالح (لأنه فاسد بطبعه)، بل يحتاج إلى "مُخلِّص".

✯ **النص الذي اخترعه بولس : أ- رسالة بولس إلى أهل رومية (5: 12) :** "من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد (آدم) دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع".

ب- رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس (15: 22) : "لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيحيا الجميع".

✯ حاول عبدالله بن أُبي ابن سلول "اليهودي" تفتيت الإسلام من الداخل لكنه فشل، بينما **نجح بولس** في تفريغ رسالة المسيح من محتواها التشريعي (الناموس) وأبدلها بمفاهيم فلسفية، **عبر ثلاث خطوات ذكية ومدروسة :**

أ- تهميش التلاميذ الحقيقيين : استغل بولس غياب المسيح وتفرُّق التلاميذ بعد رفعه حيث حدث صراع كبير بين تلاميذ المسيح الحقيقيين (مثل يعقوب وبطرس الذين تمسّكوا بالشريعة والتوحيد) وبين بولس الذي اتهمهم بالرِّياء، في (غلاطية 2: 11) : يعترف بولس : "قَاوَمْتُهُ (بطرس) مُواجَهَةً، لأَنَّهُ كَانَ مَلُومًا".

وكما نرى في (أعمال الرسل 21) أن يعقوب وبقية التلاميذ كانوا يلومون بولس لأنه يُعلِّم الناس ترك شريعة موسى. استغل بولس قدرته اللغوية وعلاقاته الرومانية (كونه يحمل الجنسية الرومانية) لنشر فكره بعيداً عن أورشليم حيث يقيم التلاميذ.

كذلك نرى أن طائفة "الأبيونيين" (Ebionites) : وهم المسيحيون الأوائل من أصل يهودي الذين تمسكوا بالشريعة، كانوا يعتبرون بولس "المرتد" وعدو الناموس، ورفضوا رسائله واعتبروه نبياً كاذباً أفسد دين المسيح.

ب- التوجه للوثنيين (الأمم) : وجد بولس أن اليهود يرفضون تحريفه، فتوجه برسالته إلى الرومان واليونان (الوثنيين)، فقد كانت الديانات الوثنية في حوض البحر المتوسط (مثل الميثراسية والديانات الإغريقية) تؤمن بآلهة تموت وتُبعث، وتقدم دماءها فداءً للبشر. وجد بولس أن العقلية الرومانية لن تتقبل "شريعة موسى" (الختان، تحريم لحم الخنزير، الوضوء)، **فقدّم لهم نُسخة "مُعدلة" وديناً سهلاً" :**

- **إلغاء الختان والشرائع :** لتسهيل دخول الرومان (الوثنيين) في الدين.
- **فكرة الإله المُخلِّص :** دمج بولس فكرة "المسيح المُعلِّم" مع فكرة "الإله المُتجسِّد المُخلِّص" الموجودة في أساطيرهم، لتُصبح المسيحية مستساغة ثقافياً لهم، وبذلك نقل التركيز من "رسالة المسيح" (اعبدوا الله) إلى "شخص المسيح" (اسجدوا للمسيح)، وهو ما يتوافق مع عقلية الرومان الذين اعتادوا تأليه الأباطرة والأبطال.

وبذلك نجد أن عقيدة بولس (الخطيئة والفداء والألوهية) لم تنتصر بالحُجة والبرهان، بل بالسيف. فعندما اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية، تبنّى النسخة البولسية لأنها الأقرب للوثنية الرومانية والأكثر قدرة على توحيد الإمبراطورية.

وفي مجمع نيقية 325 م ، تمّ قمع الموحدين (مثل آريوس الذي أنكر ألوهية المسيح) وحرّق كتبهم، وفرضت الكنيسة الرسمية عقيدة "توارث الخطيئة" كقانون ملزم، ومن ينكره يُقتل أو يُحرم كنسياً (Anathema).

ج- خلق الحاجة لـ "الفداء" (المشكلة والحل) : لا يمكن تسويق فكرة "الصلب والفداء" إلا إذا أقنعت الناس أولاً بأنهم في "ورطة".

- **المشكلة (صناعة بولس) :** أنتم جميعاً ملعونون بخطيئة آدم ولا يمكنكم النجاة بأعمالكم.

النص (رومية 3: 23) : "إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله".

- **الحل (صناعة بولس) :** دم المسيح هو الحل الوحيد. النص (رومية 5: 9) : "فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب".

❻ **شهادة بولس على نفسه (المراوغة) :** نستدل بنصوص يفتخر فيها بولس بأنه يستخدم "الخداع" أو "التلوُّن" لكسب الناس، وهو ما يتنافى مع صفات الأنبياء الصادقين الذين يتسمون بالوضوح والمبدأ الثابت.

يقول بولس : "فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأَرْبَحَ الْيَهُودَ... وَلِلَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ (الوثنيين) كَأَنِّي بِلاَ نَامُوسٍ... صِرْتُ لِلْكُلِّ كُلَّ شَيْءٍ." (1 كورنثوس 9: 20-22).

"فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ صِدْقُ اللهِ قَدِ ازْدَادَ بِكَذِبِي لِمَجْدِهِ، فَلِمَاذَا أُدَانُ أَنَا بَعْدُ كَخَاطِئٍ؟" (رومية 3: 7).

- **البرهان :** يُعتبر هذا اعترافاً صريحاً باستخدام "التقيّة" أو "الكذب المقدس" لنشر عقيدته، وهو سلوك يتطابق مع وصف "الذئاب الخاطفة في ثياب حملان".

❼ **رأي المحققين الغربيين :** كثير من علماء مقارنة الأديان والنقد الكتابي في الغرب يتفقون على أن المسيحية الحالية هي "صناعة بولسية" :

أ- فيلهلم فريد (Wilhelm Wrede) : لاهوتي ألماني شهير، قال بوضوح : "بولس هو المؤسس الثاني للمسيحية، بل هو المؤسس الحقيقي للمسيحية الكنسية، وقد غيّر جوهر تعليم المسيح البسيط إلى لاهوت معقد".

ب- مايكل هارت (في كتاب الخالدون المائة) : عند حديثه عن المسيح وبولس، ذكر أن المسيح هو صاحب الرسالة الأخلاقية، لكن بولس هو المنشئ الحقيقي للاهوت المسيحي.

ج- بارت إيرمان (Bart Ehrman) : أشهر نقاد العهد الجديد المعاصرين، يوضح في كتبه كيف أن العقائد حول ألوهية المسيح والخلاص تطورت على يد بولس وأتباعه ولم تكن هي إيمان المسيح التاريخي.

د- أدولف فون هارناك (لاهوتي الألماني) : "بولس هو الذي حوّل الإنجيل من رسالة يسوع إلى رسالة عن يسوع". أي أنه جعل شخص المسيح هو الدين بدلاً من تعاليم المسيح.

✯ **الخلاصة :** المسيحية التي نراها اليوم بعقائد (الصلب، الفداء، الخطيئة الأصلية، إسقاط الشريعة) هي "المسيحية البولسية"، وهي تختلف جذرياً وتناقض "المسيحية اليسوعية" (تعاليم المسيح) التي كانت تدعو لتوحيد الله وحفظ الشريعة والعمل الصالح.

ويمكننا تلخيص ادعاءات بولس الرئيسية التي أسّس بها لديانته الجديدة في خمس نقاط :

❶ أنه رسول مُعيّن من قِبَل المسيح.

❷ أن المسيح أوحى إليه بإنجيل خاص.

❸ أن المسيح هو ابن الله.

❹ أن خطيئة آدم لم تُغفر، وأن البشرية ورثتها عبر العصور.

❺ أن الله أرسل ابنه (المسيح) ليُصلب ويموت فداءً للبشرية من هذه الخطيئة.

وبذلك نرى أن هدف بولس هو هدم دين المسيح من الداخل، وجعله متوافقًا مع المعتقدات الوثنية الرومانية ليسهل انتشاره بين غير اليهود.

وبناءًا على ما سبق من تحذير المسيح من الأنبياء الكذبة الذين سيأتون ليغيروا الحق ويظهروا بمظهر الحملان، والمقارنة بين مسيحية بولس وتعاليم المسيح.

نستنتج أن بولس تنطبق عليه صفات التحذير النبوي وأنه أحد الأنبياء الكذبة، وهذا بشهادته على نفسه.

✯ **سؤال مهم :** إذا لم يكن هناك دَينٌ قديمٌ يجب سداده، فلماذا يُزعم أن الله أرسل ابنه (أو تجسد) ليُقتل ؟

هذا ما سنناقشه في الفصل القادم : عقيدة الدم (حقيقة الفداء والصلب).

الفصل الثاني : حقيقة الفداء والصلب

قصة صلب المسيح هي بلا شك واحدة من أشهر القصص وأكثرها تأثيراً في التاريخ البشري، وهي حجر الزاوية في العقيدة المسيحية. لكن، هل يمكن أن تكون الحقيقة الكاملة مختلفة عما نعرفه ؟ ماذا لو كانت النصوص الدينية نفسها، عند فحصها عن كثب، تحتوي على أدلة تشير إلى سيناريو مختلف تماماً ؟ بعيداً عن الرواية التقليدية، هناك وجهة نظر أخرى تُقدِّم تفسيراً جذرياً لما حدث في تلك الأيام المصيرية، مدعومة بإشارات وتناقضات من داخل النصوص عينها. في هذا الفصل، سنستعرض أبرز النقاط التي تتحدى القصة المُتعارف عليها، في رحلة تحليلية تُعيد النظر في المُسلّمات.

سيتم تقسيم الحديث إلى أربعة محاور رئيسية : أولاً، مركزية الصلب في العقيدة المسيحية، ثانيًا، الحكم القرآني القاطع، وتحديدًا الآية 157 من سورة النساء التي تنفي صراحةً قتل المسيح أو صلبه. ثالثًا، تحليل نقدي لنصوص الأناجيل، نكشف من خلالها تناقضات داخلية وإشارات تدل على أن المسيح كان على قيد الحياة بعد واقعة الصلب. رابعًا، تفكيك "آية يونان" التي قدّمها المسيح كمعجزته الوحيدة، وسنقوم بتوضيح أن هذه الآية لا تتحقق إلا ببقاء المسيح حيًا في القبر، على غرار بقاء يونان حيًا في بطن الحوت. خامسًا، الأدلة التاريخية التي تنفي إجماع المسيحيين الأوائل على حادثة صلب المسيح.

أولًا : مركزية الصلب في العقيدة المسيحية :

عقيدة "موت وقيامة المسيح" هي الركيزة الأساسية للخلاص في المسيحية. فهي بمثابة "العمود الفقري" الذي لا تقوم المسيحية بدونه.

يقول بولس في رسالته إلى أهل كورنثوس لتأكيد هذه الأهمية المحورية : "وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل إيمانكم" (1 كورنثوس 15: 14). فالمبدأ الأساسي للخلاص في المسيحية هو الإيمان بأن الخلاص لا يتم إلا بسفك دم المسيح، وأن جميع الأعمال الصالحة لا تكفي بدونه.

ثانيًا : الحكم القرآني القاطع :

تستند العقيدة الإسلامية حول هذه المسألة بشكل مباشر وحاسم إلى نص القرآن الكريم، الذي يعتبره المسلمون القول الفصل والكلمة النهائية من الله.

يقدم القرآن الكريم بياناً قاطعاً ينفي بشكل صريح حادثة قتل وصلب المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

الآية المحورية في هذا الشأن هي من سورة النساء : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (النساء : 157). بناءً على هذه الآية، يعتقد المسلمون اعتقاداً جازماً بأن الله بقدرته قد أنقذ نبيه عيسى عليه السلام من أعدائه، فلم يُقتل ولم يُصلب. أما ما رآه الناس، فلم يكن حقيقة ما جرى، بل كان مجرد شبه أو تمثيل بدا لهم وكأنه صلب حقيقي، لكن الله نجّاه ورفعه إليه. بالنسبة للمسلمين، هذا الإعلان القرآني هو حقيقة مطلقة لا تقبل الشك أو الجدال.

لماذا هذا الاختلاف مهم ؟

يتضح أن الاختلاف الجذري بين النظرتين الإسلامية والمسيحية حول صلب المسيح ينبع مباشرة من اختلاف المصادر الدينية الأساسية لكل دين ؛ الكتاب المقدس الذي يروي قصة الصلب كأساس للإيمان، مقابل القرآن الكريم الذي ينفيها بشكل قاطع. هذه المسألة ليست مجرد خلاف حول تفصيل تاريخي، بل **تمس جوهر العقيدة في كلا الدينين.**

فهي ترتبط بمفهوم الخلاص والفداء الذي لا يتحقق بدونه في المسيحية، وتتعلق بمفهوم حفظ الله لأنبيائه الذي يتجلى في الإسلام.

ثالثًا : تحليل نقدي لنصوص الأناجيل :

أ- الأدلة المستخلصة من الأحداث قبل وأثناء الصلب :

1) كان عيسى حريصاً ألا يموت :

- النص : (إنجيل متى 26: 39) "يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس. ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت".
- التعقيب : نرى أن "الكأس" هنا رمز للموت. فلو كان يسوع جاء خصيصاً ليموت، لما دعا الله بصرف الموت عنه. هذا الدعاء دليل على حرصه على البقاء حياً.

2) تضرع عيسى إلى الله كي ينقذه :

- النص : (إنجيل لوقا 22: 44) "وإذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض".
- التعقيب : هذه الحالة الفسيولوجية (**التعرُّق الدموي**) بأنها ناتجة عن ضغط نفسي وخوف عظيم من الموت، مما يؤكد أنه لم يكن راغباً فيه بل متضرعاً للنجاة منه.

3) "يسمع" الله دعاءه :

- النص : (رسالة العبرانيين 5: 7) "الذي في أيام جسده، إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت، وسمع له من أجل تقواه".
- التعقيب : الحُجّة هنا لغوية ومنطقية : النص يقول إن الله "سمع له". واستجابة الله لدعاء نبي يطلب النجاة من الموت تعني بالضرورة "عدم موته".

4) نزل إليه أحد الملائكة ليشد أزره :

- النص : (إنجيل لوقا 22: 43) "وظهر له ملاك من السماء يقويه".
- التعقيب : إن الله أرسل الملاك ليس لمساعدته على الموت، بل لتقويته جسدياً ونفسياً ليتحمل المحنة وينجو منها حياً، فالميت لا يحتاج لتقوية.

5) التناقض مع نبوءات الصمت (الدفاع عن النفس) : بينما تتحدث بعض النصوص (مثل أشعياء) عن أن المسيح "لم يفتح فاه" كشاة تُساق إلى الذبح، تورد الأناجيل (خاصة يوحنا) حوارات طويلة ودفاعاً بليغاً للمسيح أمام بيلاطس وسادن الهيكل، مما يعتبر تناقضاً بين النبوءة والواقع المسجل في الأناجيل.

6) يجد الحاكم الروماني (بيلاطس) أنه ليس مذنباً :

- النص : (إنجيل يوحنا 19: 6) "لأني لا أجد فيه علة".
- التعقيب : نرى أن براءة المتهم تدفع القاضي العادل (أو حتى المُتردد) لمحاولة إنقاذه، مما مهد الطريق لترتيبات عدم قتله فعلياً.

7) زوجة بيلاطس ترى حلماً :

- النص : (إنجيل متى 27: 19) "إياك وذلك البار، لأني تألمت اليوم كثيراً في حلم من أجله".
- التعقيب : يُعتبر هذا الحلم تدخل إلهي لإثارة قلق بيلاطس ودفعه لحماية يسوع من الموت المحقق، وهو ما يخدم خطة النجاة.

8) الزعم بأنه بقي على الصليب ثلاث ساعات فقط :

- النص : (إنجيل مرقس 15: 25 و 15: 34-37) "وكانت الساعة الثالثة فصلبوه ... وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع ... وأسلم الروح".
- التعقيب : المدة من الساعة الثالثة للتاسعة (بالتوقيت العبري) تعادل وقتاً قصيراً جداً. من المُتعارف عليه أن الموت صلباً يحتاج أياماً، فخروجه بعد ساعات قليلة يعني أنه دخل في غيبوبة (إغماء) ولم يمت.

9) رفيقا صلبه ظلا حيين (تكسير الساقين) :

- النص : (إنجيل يوحنا 19: 31-32) "فأتى العسكر وكسروا ساقي الأول والآخر المصلوب معه".
- التعقيب : تم كسر السيقان لتسريع الموت (لأن المصلوب يعتمد على ساقيه للتنفس). بقاء اللّصين حيين يثبت أن الفترة الزمنية لم تكن كافية للقتل، وبالتالي يسوع أيضاً كان حياً مثلهم في تلك اللحظة.

10) شهادة الموسوعة الإنجيلية :

- النص : (إنجيل مرقس 15: 44) "فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعاً".
- التعقيب : سنستند هنا لمرجع خارجي يفسر هذا النص، حيث يرى العلماء أن "الموت السريع" غير منطقي طبياً في حالة الصلب، مما يرجح "ظاهرية الموت" (الإغماء).

11) فوراً خرج دم وماء :

- النص : (إنجيل يوحنا 19: 34) "لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة، وللوقت خرج دم وماء".
- التعقيب : إن الدم المتجلّط لا يخرج من الميت. خروج الدم سائلاً (والماء) دليل على أن القلب كان لا يزال يضخ الدم، مما يعني وجود حياة.

12) الساقان غير مقطوعتين (نبوءة) :

- النص : (مزمور 34: 20) "يحفظ جميع عظامه. واحد منها لا ينكسر".
و (يوحنا 19: 33) "وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه".
- التعقيب : نرى أن "حفظ العظام" هو حماية للجسد الحي لكي يستطيع الوقوف والمشي لاحقاً. الميت لا ينتفع بسلامة عظامه.

13) الرعد والزلزال :

- النص : (إنجيل متى 27: 51) "والأرض تزلزلت، والصخور تشققت".
- التعقيب : نفسرها أنها كعوامل مساعدة من الله لتشتيت انتباه الحراس والجمهور، مما أتاح الفرصة لأتباع يسوع المُخلصين لإنقاذه.

14) اليهود ارتابوا في تحقق موته :

- النص : (إنجيل متى 27: 64) "فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث، لئلا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه".
- التعقيب : نرى أن قلقهم كان من أن يكون "حياً" فيتم تهريبه وعلاجه، وليس خوفاً من قيامة ميت، لأنهم لم يؤمنوا به أصلاً.

15) بيلاطس يتعجب:

- النص : (إنجيل مرقس 15: 44) "فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعاً".
- التعقيب : دهشة بيلاطس (الخبير بالإعدامات) تؤكد أن موت يسوع في هذا الوقت القصير كان أمراً مستحيلاً وغير مُصدّق، مما يدعم فرضية الإغماء.

ب- الأدلة المستخلصة من أحداث ما بعد الصلب :

16) حجرة ضخمة فسيحة (كمدفن) :

- النص : (إنجيل يوحنا 19: 41) "وكان في الموضع الذي صلب فيه بستان، وفي البستان قبر جديد".
- التعقيب : لم يُدفن في حفرة ترابية، بل في غرفة واسعة فوق الأرض (قبر منحوت في الصخر)، مما يسمح بدخول الهواء ومرافقة من يعالجه، وهو بيئة مناسبة للتعافي لا للموت.

17) إزالة الحجر :

- النص : (إنجيل يوحنا 20: 1) "والحجر مرفوع عن القبر".
- التعقيب : **وهنا نسأل سؤال منطقي :** لماذا يُزاح الحجر ؟ الروح أو الجسد المُمجّد (الروحاني) يخترق الجدران. إزاحة الحجر ضرورية فقط لجسد مادي بشري حي يحتاج للخروج.

18) تقرير عن الملاءة (الأكفان) :

- النص : (إنجيل يوحنا 20: 7) "والمنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان".
- التعقيب : ترتيب الأكفان وكونها مفكوكة كدليل على أن من كان بداخلها فكّها بنفسه أو بمساعدة ليتحرر، وهذا فعل حي. (كما في دراسات كفن تورينو).

19) التنكر الدائم :

- النص : (إنجيل يوحنا 20: 15) "فظنت تلك (مريم) أنه البستاني".

و (إنجيل مرقس 16: 12) "ظهر بهيئة أخرى".

- التعقيب : إن التنكر سلوك الخائف من الاعتقال. لو كان المسيح قد مات وقام، لكان الآن بمأمن من الموت ولن يحتاج للتخفِّي. تنكره دليل على أنه بشري حي هارب.

20) منع مريم المجدلية من لمسه :

- النص : (إنجيل يوحنا 20: 17) "قال لها يسوع : لا تلمسيني".
- التعقيب : قوله "لا تلمسيني"دليل على أن جسده كان مليئاً بالجروح والكدمات المؤلمة جداً، واللمس كان سيُسبب له ألماً مبرحاً، مما يثبت أنه جسد حي يتألم وليس جسداً مُمجداً.

21) قوله "لم أصعد إلى أبي بعد" :

- النص : (إنجيل يوحنا 20: 17) "لأني لم أصعد بعد إلى أبي".
- التعقيب : يُفسّر "الصعود إلى الأب" بمعنى الموت والخروج من عالم الدنيا. فقوله "لم أصعد" يعني "أنا لم أمت بعد"، أنا ما زلت موجوداً هنا بجسدي.

22) لم تخف مريم المجدلية :

- النص : (إنجيل يوحنا 20: 15-16) تحدثت معه وظنت أنه البستاني.
- التعقيب : عدم خوفها وفزعها (بخلاف التلاميذ لاحقاً) يعني أنها كانت تبحث عن جسد حي لتُطيِّبه، وعندما رأته تعاملت معه كبشر حي، مما يدل على أنها رأت فيه علامات الحياة عند إنزاله.

23) هلع الحواريين عند رؤيته :

- النص : (إنجيل لوقا 24: 37) "فجزعوا وخافوا، وظنوا أنهم نظروا روحاً".
- التعقيب : الخوف والظن بأنه "روح" (شبح) دليل على أنهم اعتقدوا بموته. ومفاجأتهم برؤيته حياً صدمتهم. لو كانوا ينتظرون قيامة لما خافوا.

24) أكل الطعام :

• النص : (إنجيل لوقا 24: 41-43) "فقال لهم : أعندكم ههنا طعام ؟ فناولوه جزءاً من سمك مشوي وشيئاً من شهد عسل. فأخذ وأكل قدامهم".

• التعقيب : وهذه أقوى الادلة. الأرواح والأجساد السماوية لا تأكل السمك والعسل. أكله للطعام هو إثبات مادي قاطع قدّمه المسيح بنفسه ليؤكد لتلاميذه أنه بشرٌ حيٌّ وليس شبحاً.

25) لم يظهر نفسه لأعدائه :

• النص : (سفر أعمال الرسل 10: 40-41) "أعطى (الله) أن يصير ظاهراً، ليس لجميع الشعب، بل لشهود ...".

• التعقيب : المسيح لو كان قد قهر الموت حقاً، لذهب لبيلاطس واليهود ليتحدّاهم. اختفاؤه وظهوره فقط لأتباعه في الخفاء دليل على أنه كان لا يزال مطلوباً وخائفاً على حياته.

26) قام بجولات قصيرة فقط :

• النص : (إنجيل لوقا 24: 13) الذهاب إلى عمواس (قرية قريبة).

• التعقيب : حركته في نطاق ضيق وقريب تدل على فترة نقاهة، وعدم قدرة على السفر البعيد بسبب الجروح والإنهاك.

27) شهادة الملائكة "الحي" :

• النص : (إنجيل لوقا 24: 5) "لماذا تطلبن الحي بين الأموات ؟"

• التعقيب : نركز هنا على كلمة "الحي". الملائكة لم يقلن "الميت الذي قام"، بل وصفنه بصفة الحياة المستمرة. أي أنه لم يمت أصلاً لكي تبحثن عنه في القبور.

28) شهادة مريم المجدلية :

• النص : (إنجيل مرقس 16: 11) "فلما سمع أولئك أنه حي، وقد نظرته، لم يصدقوا".

• التعقيب : النص يقول "سمعوا أنه حي" وليس "أنه قام". عدم تصديق التلاميذ كان لأنهم أيقنوا بموته، فخبر بقائه حياً كان معجزة لم يستوعبوها.

29) شهادة الدكتور بريمروز (الماء والدم) :

• النص : (إنجيل يوحنا 19: 34) "خرج دم وماء".

• التعقيب : (تكرار لنقطة 10 و 14 ولكن من زاوية طبية). نستشهد هنا بالدكتور بريمروز الذي يُفسِّر خروج الماء كنتيجة للإجهاد العصبي الشديد للأوعية الدموية لشخص حي يعاني، وليس لشخص ميت.

30) كمية الأطياب الكبيرة (للعلاج لا للتحنيط) :

• النص : (إنجيل يوحنا 19: 39) "وجاء أيضاً نيقوديموس، الذي كان أولاً قد جاء إلى يسوع ليلاً، وهو حامل مزيج مر وصبر نحو مئة مناً".

• التعقيب : هنا نقف ونتساءل : لماذا أحضر نيقوديموس (أحد الأتباع السريين) هذه الكمية الهائلة (100 رطل - حوالي 45 كجم) من "المر والصبر" ؟

• التحليل : هذه المواد (المُر والصبر) تستخدم طبياً في الشرق كمراهم لشفاء الجروح وتخفيف الآلام، وليس فقط للتحنيط. لو كان المسيح ميتاً، لما احتاجوا لهذه الكمية الضخمة ولما استخدموا مواد ذات خصائص علاجية قوية.

• الاستنتاج : وجود هذه الكمية الكبيرة يؤكد نية "علاج" جسد حي مُمتلئ بالجروح، وليس مجرد "تطيُّب" جسد ميت سيوضع في القبر، وهو ما يتكامل مع نقطة "الغرفة الفسيحة للإسعافات الأولية" التي ذكرتها في النقطة رقم 15.

31) الثغرات الزمنية والحسابية : ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ : نجد هنا فجوة حسابية بين نبوءة المسيح بالبقاء في القبر "ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ" وبين الواقع المذكور في الأناجيل ؛ حيث تم الدفن مساء الجمعة واكتُشف القبر فارغاً فجر الأحد، مما يعني قضاء ليلتين ويوم واحد فقط في القبر، وهو ما يعتبر **تناقضاً حسابياً صريحاً يسقط دقة الرواية.**

رابعًا : نبوءة المسيح (آية يونان) :

- النص : (إنجيل متى 12: 40) "لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ...".
- التعقيب : هذه هي **الآية الكبرى** التي نستدل بها :
- يونان كان حياً في بطن الحوت (لم يمت).
- المسيح قال إنه سيكون "كما كان يونان".
- إذن، يجب أن يكون المسيح حياً في القبر.
- أي سيناريو يفترض موت المسيح في القبر يجعل المسيح (حاشاه) غير صادق في نبوءته لأنه خالف حالة يونان. لذا، لا بد أنه كان حياً طوال الوقت.

خامسًا : الأدلة التاريخية التي تنفي إجماع المسيحيين الأوائل على حادثة صلب المسيح :

تشير المصادر التاريخية والكتابات المسيحية المبكرة إلى وجود خلافات جوهرية وانقسامات حول هذه الواقعة منذ البدايات الأولى للمسيحية، ويمكن تفصيل هذه الأدلة كما يلي :

❶ **رسائل بولس واعترافه بوجود أناجيل أخرى :** تعتبر رسائل بولس من أقدم المصادر التي توثق وجود مسيحيين أوائل اختلفوا مع عقيدته الأساسية، وهي "الصلب والفداء". ففي رسالته إلى أهل غلاطية (1: 6-9) يعبر بولس عن تعجبه من ارتداد البعض سريعاً إلى "إنجيل آخر" غير الذي بشّر به، ويصف من يُبشِّر بغير رسالته بأنه "أناثيما" أي محروم أو مقطوع من الشركة. هذا الصراع يشير بوضوح إلى أن فكرة صلب المسيح لم تكن محل اتفاق، بل كانت هناك جماعات مسيحية ترفضها أو تقدم تفسيراً مختلفاً لها.

❷ **إنكار القيامة والصلب في الأوساط المسيحية المبكرة :** يشير بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (15: 12-18) إلى وجود قوم بين المسيحيين ينكرون قيامة الأموات، وهو ما اعتبره بولس هدماً لعقيدة صلب المسيح وقيامته. وتذكر المصادر أن بولس لم يُقدِّم براهين تاريخية حاسمة على القيامة لإقناع هؤلاء المتشككين، بل اكتفى بتوضيح أن إنكار القيامة يعني بطلان الإيمان المسيحي بالتبعية.

❸ **شهادات الطوائف الغنوصية :** تعد كتابات "الغنوصيين" من أبرز الأدلة التاريخية على رفض قطاع من المسيحيين الأوائل لواقعة صلب المسيح. ومن أهم هذه الشهادات :

✭ **شهادة باسيليدس :** ذكر القديس إيريناوس (أسقف ليون في القرن الثاني) الذي وثّق في كتابه الشهير "ضد الهرطقات" عقائد خصومه الغنوصيين بهدف دحضها. عند حديثه عن المعلم الغنوصي باسيليدس، انه كان يعتقد أن المسيح لم يمت، بل إن سمعان القيرواني هو الذي صُلب مكانه بعد أن تبدلت أشكالهما، بينما صعد المسيح إلى السماء وهو يسخر من صالبيه.

⭐ **كتاب "أعمال يوحنا" (من الأبوكريفا) :** يصف هذا الكتاب رؤية ليوحنا يظهر فيها المسيح فوق الصليب كـ "صليب نور"، ويخبر يوحنا صراحةً بأنه ليس هو الشخص المطلوب على "الصليب الخشبي"، وأن ما يراه الجمهور ليس هو الحقيقة.

❹ **غياب شهود العيان على واقعة القيامة :** تؤكد المصادر أن الأناجيل الأربعة المعتمدة لا تحتوي على أي نص لشهود عيان رأوا المسيح وهو يقوم من الموت أو يخرج من القبر. بدلًا من ذلك، تركز الروايات الإنجيلية على أمرين :

❶ نتائج الحدث : يذهب التلاميذ أو النساء إلى القبر ليجدوه فارغًا، فيستنتجون أن المسيح قد قام.

❷ إعلان عن الحدث : يظهر ملاك أو "شخص" عند القبر ويخبر الزوار بأن المسيح قد قام من بين الأموات.

هذا النمط يقود إلى "استنتاج" للقيامة، وليس شهادة مباشرة عليها. فالأدلة المقدمة هي أدلة ظرفية (القبر الفارغ) أو أدلة سماعية (كلام الملاك)، وليست ملاحظة مباشرة للحدث المركزي. هذا الفراغ في السرد التاريخي الرسمي لا يفتح الباب أمام التساؤلات فحسب، بل يوفر تربة خصبة كانت ضرورية لنمو وانتشار الروايات البديلة، كتلك التي قدمها الغنوصيون، والتي قدمت تفسيرًا مختلفًا لحدث لم يشهد عليه أحد بشكل مباشر.

⭐ تلخيص شامل للفصل الثاني :

خلاصة القول في عقيدة الدم :

❶ سقوط الحاجة : بما أننا أثبتنا في الفصل الأول عدم وجود "خطيئة أصلية"، فلا حاجة لـ "فداء". التوبة تكفي.

❷ سقوط المنطق : من الظلم معاقبة البريء عن المذنب، ومن العبث الاعتقاد بأن الله لا يغفر إلا بالقتل.

❸ سقوط الدليل : النصوص المقدسة (في هوشع ومتى) تؤكد أن الله يريد الرحمة لا الذبيحة، والنص في (عبرانيين) يؤكد أن الله استجاب دعاء المسيح ونجاه من الموت.

❹ الشهادة التاريخية : وجود فرق مسيحية مبكرة أنكرت الصلب يؤكد أن هذه العقيدة لم تكن محل إجماع، بل فُرضت لاحقاً.

إذن، إذا لم يكن هناك خطيئة موروثة، ولم يحدث صلب وفداء.

فما هو الطريق الصحيح ؟ وما هو البديل الذي يقدمه الخالق للبشرية ؟

هذا ما سنعرضه في الفصل الأخير : **(الإسلام : دين الفطرة والنجاة)**.

الفصل الثالث : الطريق إلى الله (الإسلام : دين الفطرة والنجاة)

بعد أن رأينا في الفصول السابقة كيف أن عقيدة الخطيئة الأصلية تنافي العدل الإلهي، وكيف أن عقيدة "الصلب والفداء" تتناقض مع رحمة الله وقدرته، يأتي السؤال الحتمي : أين الحقيقة ؟

الحقيقة تجدها في الدين الذي لم يُغيَّر ولم يُبدَّل، الدين الذي يحترم عقلك، ويحفظ كرامة الأنبياء، ويفتح لك باب الله بلا حُرَّاس ولا وسطاء، إنه الإسلام.

في هذا الفصل، نعقد مقارنة هامة بين مكانة المسيح وأمه في القرآن الكريم، وبين ما ورد عنهما في الكتاب المقدس، لترى بنفسك أين يكمن التكريم الحقيقي.

❶ **براءة المسيح ومريم :** التكريم القرآني مقابل النصوص الكتابية :

الإسلام لا يكتفي بالاعتراف بالمسيح، بل يجعله من "أولي العزم من الرسل"، ويُبرئه وأمه من كل نقيصة. لكن عندما نفتح الكتاب المقدس، نجد أوصافاً لا تليق بنبي، بل لا يقبلها إنسان عادي على نفسه أو أمه.

أولاً : معاملة الأم (بين البر والعقوق) :

★ **في القرآن (قمة البر) :** أول كلمات نطق بها المسيح في المهد كانت دفاعاً عن أمه وإثباتاً لبره بها : ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: 32]. القرآن يصفه بالبار، اللين، المحب لأمه، وهي صفات الأنبياء.

★ **في الإنجيل (الجفاء والغلظة) :** في مواضع متعددة (خمسة نصوص)، ينادي يسوع أمه بلفظة جافة : "يا امرأة" بدلاً من "يا أمي". جاء في (إنجيل يوحنا 2: 4) : "قَالَ لَهَا يَسُوعُ : مَا لِي وَلَكِ يَا امْرَأَةُ ؟ لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ".

هل يخاطب بارٌ أمه في عرس أمام الناس قائلاً "ما لي ولك يا امرأة" ؟ أين هذا من قوله تعالى : ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ ؟

ثانياً : مقام المسيح (بين المبارك والملعون) :

★ **في القرآن (المبارك) :** يصف المسيح نفسه في القرآن : ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: 31]. فهو بركة، ونور، وروح من الله، ووجيه في الدنيا والآخرة.

★ **في الكتاب المقدس (اللعنة والدودة) :** يعتقد بولس الرسول أن المسيح صار "لعنة" ليفتدي البشر ! جاء في (غلاطية 3: 13) : "اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا". حاشا لله أن يكون نبيه "لعنة". بل وفي العهد القديم (مزامير 22: 6) في النص الذي يفسره المسيحيون على أنه نبوءة عن المسيح، يقول المتحدث : "أَمَّا أَنَا فَدُودَةٌ لاَ إِنْسَانٌ، عَارٌ عِنْدَ الْبَشَرِ وَمُحْتَقَرُ الشَّعْبِ". هل يقبل عاقل أن يوصف نبي الله الكريم بأنه "دودة" أو "لعنة" ؟

الإسلام يرفض هذه الإهانات ويرفعه مكاناً علياً.

ثالثاً : العفة والكرامة (بين سيدة النساء ومن يعولها النساء) :

★ **في القرآن (السيدة المصطفاة) :** سمّى الله سورة كاملة باسم "مريم"، واصطفاها على نساء العالمين وطهرها.
﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 42].

★ **في الإنجيل (التبعية المالية للنساء) :** يُصوِّر الإنجيل المسيح وأتباعه كجماعة تعيش على نفقات النساء، مما يقدح في كمال القوامة وعزة النفس للنبي. جاء في (إنجيل لوقا 8: 1-3) ذكر نساء كن يتبعنه : "... وَسُوسَنَّةُ، وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ كُنَّ يَخْدِمْنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ". شتان بين نبي عزيز النفس يغنيه الله من فضله، وبين صورة من يعيش عالة على أموال النساء.

❷ **البديل العقلاني : كيف ننجو في الإسلام ؟**

الإسلام يقدم معادلة الخلاص الأبسط والأكثر عدالة في الوجود :

★ **المسؤولية الفردية :** لا أحد يحمل ذنبك، ولا أنت تحمل ذنب آدم. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: 18].

★ **المغفرة المباشرة : أخطأت ؟** تُب إلى الله مباشرة. لا تحتاج لكرسي اعتراف ولا لدم يُسفك. الله ينتظر توبتك ليفرح بها. ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: 53].

★ **المسيح عبد الله ورسوله :** نؤمن به نبياً عظيماً، خلقه الله بكلمة "كُن"، أيده بالمعجزات، ورفعه إليه ونجاه من كيد اليهود، وسيعود في آخر الزمان.

الخاتمة

أخي القارئ، أختي القارئة ..

لقد طُفنا معاً في رحلة عقلية ونقلية موجزة. رأينا كيف يُبرئ الإسلام المسيح وأمه مما نسبته إليهما الكتب المُحرّفة من صفات "اللعنة" و"العقوق" و"الضعف". ورأينا أن العدل الإلهي يقتضي ألا يحمل إنسان وزر غيره.

الآن، الكُرة في ملعبك.

أنت تستخدم عقلك في شراء سيارة، أو اختيار وظيفة، أو دواء .. أفلا يستحق "مصيرك الأبدي" أن تستخدم عقلك لأجله ؟

إن الحياة (مهما طالت) قصيرة جداً، والموت يأتي بغتة. تخيّل أن تقف غداً بين يدي الله وقد أضعت عمرك تؤمن بأن الله "ثلاثة" أو أنه "صُلِب ومات"، **بينما كان صوت الحق يناديك للتوحيد الخالص.**

لا تجعل العاطفة أو الوراثة تمنعك من الحق. إن المسيح الذي تُحبه، سيتبرأ يوم القيامة ممن عبدوه واتخذوه إلهاً، وسيأتي بنفسه ليصحح العقيدة.

عن النبي محمد ﷺ قال : "والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ..." (صحيح البخاري ومسلم).

نعم، المسيح سيكسر الصليب بيده ليُعلن للعالم أجمع : "لم أُصلب، ولم أُقتل، وإنما كنت عبداً لله أدعوكم لعبادته وحده".

دعوة صادقة : إننا ندعوك أن تنفض غبار التقليد، وتتجه بقلبك إلى الخالق مباشرة، واسجد له كما سجد المسيح والأنبياء، وقل : "يا رب اهدني للحق".

اعلم أن باب الإسلام مفتوح، وهو ليس ديناً جديداً، بل هو دين المسيح وموسى وإبراهيم ومحمد وجميع الأنبياء : الاستسلام لله بالتوحيد. فهل أنت مستعد لتنقذ نفسك وتفوز بالآخرة التي هي خيرٌ وأبقى ؟

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَاۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 256].

تمَّ بحمد الله تعالى.

أبو صهيب الأنصاري

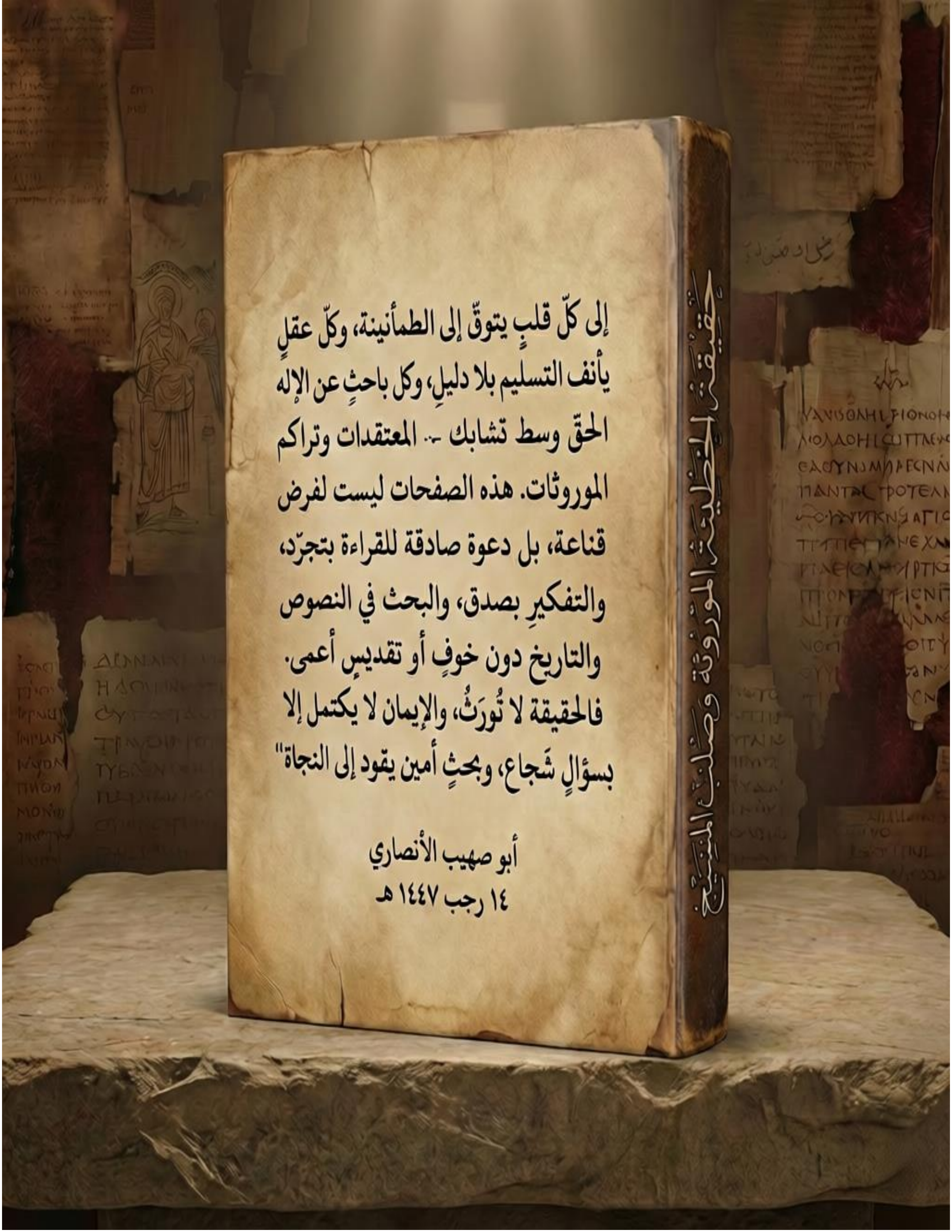
غرة شعبان ١٤٤٧ هـ

"فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَحْسَنْتُ التَّأْلِيفَ وَأَصَبْتُ الْغَرَضَ، فَذلِكَ مَا كُنْتُ أَتَمَنَّى.

وَإِنْ كَانَ قَدْ لَحِقَنِي الْوَهْنُ وَالتَّقْصِيرُ، فَإِنِّي قَدْ بَذَلْتُ وُسْعِي." (سفر المكابيين الثاني 15: 39)

المصادر والمراجع

❶ كتاب مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء - الشيخ أحمد ديدات
❷ تفنيد عقيدة الخطيئة الأصلية من الكتاب المقدس - الشيخ أحمد ديدات (مرئي)
❸ كتاب هل افتدانا المسيح على الصليب - د.منقذ بن محمود السقار
❹ كتاب أربعون دليلاً على بطلان عقيدة توارث الخطيئة وعقيدة صلب المسيح - المؤلف : ماجد بن سليمان.
❺ أربعون دليلا على بطلان عقيدة توارث الخطيئة وعقيدة صلب المسيح - الشيخ ماجد الرسّي (مرئي)
❻ هل اتفق المسيحيون على صلب المسيح (مرئي)


حقيقة الخطيئة الموروثة وصلب المسيح
إلى كلّ قلبٍ يتوقّ إلى الطمأنينة، وكلّ عقلٍ يأنف التسليم بلا دليلٍ، وكل باحثٍ عن الإله الحقّ وسط تشابك -.. المعتقدات وتراكم الموروثات. هذه الصفحات ليست لفرض قناعة، بل دعوة صادقة للقراءة بتجرّد، والتفكيرِ بصدق، والبحث في النصوص والتاريخ دون خوفٍ أو تقديسٍ أعمى. فالحقيقة لا تُورَثُ، والإيمان لا يكتمل إلا بسؤالٍ شَجاع، وبحثٍ أمين يقود إلى النجاة"
أبو صهيب الأنصاري
١٤ رجب ١٤٤٧ هـ